قصائد كردية إلى غزة

❑ رمزي عقراوي

يوم الغدر

دعا شهيد غزة...
دول العالم...
لنصرة فلسطين العبق
(يوم الغدر الأكبر)
بقلب ملئ بالأسىٰ متدفق!!
وقد أجهدني...
ليل الصهاينة الطويل...
بسهم مفرّق!!
علىٰ نهشات الجرح الغادر...
تستبد بروحي...
فتأخذ منها بالتمزق!!
وخاصمني الشقيق قبل الصديق ...
فسرت علىٰ درب
من اليأس ضيّق!!
ارى لحظات العمر تجري ثقيلة...
فانقل من جراثها خطو مملق!
فكلفت نفسي الصبر
فيها فما ارعوت!
فصرت اكف حوارا
في الحديث الملفق؟!
يحملني الصهاينة
بنشر بلائهم...
عليّ اراني كل ماهو مخنقي!!
لقد كان عيشي يا ابن صهيون
في الحصار صعبا...
ولكن بمرآك لم اخش الحوادث
او أتق ؟!!
ياشهيد غزة ...!
ان الذي خلفت مابين اضلعي...
يعج بذكر دائم متعبق!
فعذرا اذا لم يبلغ الحق قادرا
– رثائي –
فهذا الخطب المريع...
قد اخرس منطقي!
اينفع (الكورد) محض التأسف ...؟!!
بعد ان استشهدت...
في حرب ظالمة مليئة بشر مفرق!!
ولكن امر الصبر فيمن تحبه
ثقيل علىٰ قلب شديد التعلق!

لفظ التأسف!!!

في أي منعطف... وأي مكان ؟!
تلقىٰ السلامة
يا ابن فلسطين العربية
ممن لوثه الحقد من يد الطغيان؟!
من اين تلتمس النجاة
يا ابن غزة ؟!
وهذه الكوارث
من الصهاينة لاتدعو للاطمئنان
تلهيك عنها غفلة فاذا انتهىٰ...
يوم اراك هم الصهاينة يوم ثان
وغدر الصهاينة ينهش ابناء ...
غزة الامنين في معارك ظالمة...
وفي كل ميدان!
الله يشهد ان قلبك يا شهيد غزة
قد خلا عن دنس واضغان !!!
طرحتك عاصفة الهجوم
من قبل الغزاة
فلم تعد الا وغرسك
ذابل الاغصان!
حالت باطفال غزة الابرياء هناك
حياتهم من نعمة
كبرى الىٰ حرمان؟!
وشعوب العالم (عبر
الفضائيات) تنظر
اليكم نظرة الحيران ...!!!
حيث يجري (لفظ التأسف)
من ابناء الكورد علىٰ كل لسان !
يا شهيدا بقت الفضائل بعدك
تحتل بين الذكريات...
مكانة محفوظة بعيدة...
عن النسيان !!

ياولدي

منذ عهود ...
ذقت الشقاء...
ورأيت البلاء!
لقاء...رحيل...تشرد...شتات!
فقد بكيت صباحا
كما نحبت مساء!
طويت يا قبر مني جسم ولدي
وقد كان يبز الضياء...
طويت مني الاماني
كما طويت الرجاء!
طويت وحي احلامي
فايام حزني صارت تسير بعناء!
امال قلبي راحت هباء
شكوت فيك ياولدي خطوبا
وشكوت جرحا ندوبا
اما فقدانك فأمسىٰ
يوما عليّ عصيبا!
مصيبتي فيك حالت
وجه حياتي كئيبا!
وقد احتلت منا لسانا
وقد احتلت منا قلوبا
وان دعوتك يا ولدي شجوا
لم اسمع مجيبا!
فزاد همي هما غريبا!
وليس حولك الا اب اطال النحيبا
وقد احكم الحزن العميق فيه...
اظافرا وانيابا...!
صبح ...وأي صباح...؟!
بكل سوء الصهاينة تبلج
رأيت كل كوارث
الصهاينة من المكاره أهوج
رباه أليس هذا بلاءً ؟!
فهل لعبدك مخرج؟!
أدرك عبادك لطفا...
فنحن للطف أحوج!
ولدي الحبيب كانت همومي
إذا رأيتك تفرج...
لبست ثوب شهيد عزيز
وسوف البس أنا ثوبا
من المصائب ينسج!
ولدي الغالي موقف سوء
علىٰ أبيك تحرج!
صخب الأطفال والصبايا تعالىٰ
فقم يا ولدي (تفرج)!!!
صبح...وأي...صباح...
عدمت فيه رشادي
كما عدمت الشعورا
خرجت أدعو طبيبا...
هرعت أرجو مجيرا!
رنا الطبيب إلي بطرف
باليأس كان حسيرا!
وجرح غدر الصهاينة جاوز حدا
به استحال خطيرا
ماذا يريني ماذا؟!
أليس هذا المصاب كبيرا ؟!
قد كان قبل قليل
يملأ البيت حبورا
يملأ الحياة هناءا وسرورا
يا ولدي كنت حياتي
اذ كنت زينة نفسي
قد كنت قرة عيني
وكنت مبعث أنسي
حتىٰ قضيت فصارت
تجري الأمور لتعسي
قد علمتني الكوارث...!
في الصبر والصمود أجمل درس
كنت اجود نبع...
وكنت الطف غرس
ماذا يفيد التعزي!
وماذا يفيد التأسي
فقد تخيب ظني...
كما تفرق حدسي
شتان بين صباحي
هذا وصحبة امس!
فمن حياة وفرح...
الىٰ سكون ورمس!!
ياولدي رحت وراحت
منا عذبة الاماني !
ياولدي يومك القىٰ
علي كل هوان!!
فيا مباهج نفسي
ويا مثار حناني
اني سئمت زمانا
بما يسوء رماني!
سل المصائب عما
عقدن فيها لساني
لقد نتجن شحوبا
فسدّ سيل بياني
ياولدي...
لقد آن للقلب أن ينفطر...!
وللنفس ان تستميح الزوال...
وللدمع علىٰ الخد ان ينحدر...
لقد ضاق للصبر فيّ المجال!
وللفكر في الخطب أن يستعر
ويرني محاسن رب الجمال!!
يا ولدي...
لياليك تلك القصار
أطالت علينا ليالي العزاء
وحجب عن عيني ضوء النهار
فلم أر في العيش ذاك الهناء
لقد أصبح البيت كئيب المنظر
وكان كالروضة الزاهرة!
فأين الهزار الذي طار
وأين تغاريده الساحره؟!
فاني وان قد شكوت الأذى
اسلي بها نفسي الحائره...!
لقد ذبل العود بعد اخضرار
كأن صفعته أكف الشتاء!
يدور بنا الدهر هذا المدار
فهذا للموت وذاك للبقاء!
ولما رآني ولدي الجريح...
وهو علىٰ فراش الموت!
دعاني صارخا بأعلىٰ صوته
يا أبي ... يا أبي ...!
فاطلقها صيحة واغتدى
بها ملصق الرأس بالمنكب!
لقد ضاع جهدي عليه سدى
فوا لهفتاه! ياله من صبي
تعدى شعاع الحياة المنير
إلىٰ ظلمة في بطون العراء!!
وأعقب لي ما يدّك الضمير
فاوردني اليأس بعد الرجاء!!

سيندي

❑ إسراء طلعت حسن

كلما سكنتْ ضلوعي تحت
جنح الليلِ
انتفضت يدايَ...
ثم كالطفل المريضِ
ضممتُها
شابكتُها
وتلوتُ سطراً...
بعض سطرٍ
من صلاةْ...
وتذكرتُ النهارَ
بشؤمه، وبغدره
وقلتُ ليس ما يدعو للقلقْ
فغداً "يومٌ جميلٌ"
وغداً يحلو الأفقْ!
سأصلي وسأصيرُ
وسأحلمُ ما اتفقْ!
***
لم لا أحلم أني "ياسَمينٌ"
حين تاهتْ في زقاق لا يرقْ!
وعلاءُ الدين طيشٌ لا يلينْ
يجمع التفاحَ حلماً من ورقْ...
يمزج البؤسَ بطيف
ليس يسرقهُ القساةْ
ثم يدنو من طموحٍ
أخضرٍ
مثلَ الحياةْ!
***
لم لا أحلم أني "سينديريللا"...
ليس ما هوَ مستحيلْ
طالما الفقرُ له قلبٌ نبيلْ
لم لا
أنثر الأزرقَ ماسا
وانطلاق بلا انتكاسةْ!
أمسح اليأسَ وآثار "لوسيفَرَ" اللعينِ
حرةً بالرغم من قلبي السجينِ!
***
من يناديني "رابانزيل"!
أسدلي سحرَ القلاع فها سنمضي
نعشق الوَهمَ الوضيءَ ووجهَ شمسٍ
هل ستضنُ بالنورِ
إذا ما قُصَّ شعري؟
***
لم لا أحلمُ
لم لا
لم لا أحلم فالليلُ له ذيلٌ طويلْ
وعيونٌ سابحاتُ
أين ما يدعىٰ "النجاةُ"؟
لستُ أملك من دليلْ!
لم لا أحلمُ
لم لا
لِ
مَ

مضرّجة جدائلها بالليلة القزحية

❑ أحمد ختّاوي

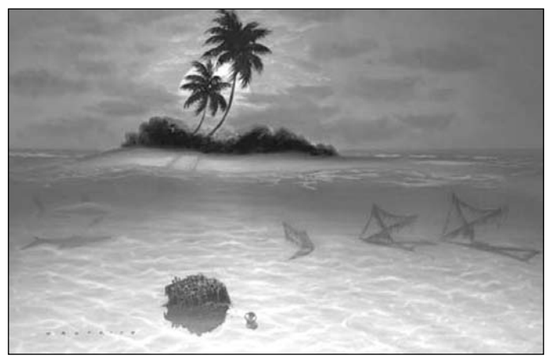

خذلوها...وأمتطىٰ النهار صهوته . نهضوية حتىٰ النخاع،
دخلت هالة غرفتها تختزل السويعات المتبقية من النهار لترتمي فوق السرير حيث كان عقرب الساعة يشر إلىٰ منتصف الليل ، ثملة مضرجة بفرحة عارمة بعد عودتها من سهرة ظافرة،قزحية بابهىٰ فنادق المدينة ، وقد ظفرت بوعد يبدو لها صادقا بالظفر بمنصب بإحدى الشركات الكبرى.
لم تتعود علىٰ مثل هذه السهرات وهي حديثة التخرج من كلية التجارة وعدها" المريدون" لهذه الأماكن بالتوسط لدى مدير عام لأحدى البنوك الفاعلة الكبرى دوما أي ريب أو تردد. دغدغت حبة جبن طرية بالمطبخ ،وضعتها بين شفتيها ، تقضم جزءا،تداعب آخر لترمي بما تبقىٰ من شرفة غرفتها ، وقد تركتها مفتوحة طيلة النهار .
.تتوسد وسادة وردية ملفوفة بأحلامها ، كانت جاثمة علىٰ مشارف سريرها قبالة جهاز الكومبوتر. جذبتها بلطف . تغمض عينيها في محاولة لتقصي السويعات التي قضتها ببهو الفندق ...تستحضر الليلة القزحية والسهرة بجميع تفاصيلها ، يرتسم أمامها شاب وسيم كان ضمن المجموعة ،تهرول إلىٰ المطبخ ثانية ، تجلب حبة تفاح في حركة هلامية، تقضمها في نهم معتقدة أنها تجلب الفأل، تسدل عيونها كما ستار المسرح مرة ثانية لتستسلم لخيالها وتجلياتها، يصيبها أرق سرعان ما تنتشي وهي تداعب حبة التفاح، في سعادة عارمة تهلوس "المنصب والشاب الوسيم " يراودها تفكير أني بأن التفاحة فعلا فأل خير وأن الجبن يذوب بالليل كما تذهب إلىٰ ذلك الأمثلة الشعبية ، وبعض أقوال العرافات ، تتشبث بالتفاحة " فألا" .
توقظ ما في ذاكرتها من أيام الدراسة بالجامعة وبعض صديقاتها العوانس وهي ابنة الواحد والعشرين، يافعة ، علىٰ قدر وافر من الجمال، تتخرج وتظفر بعمل ظل يراودها وقد كان يبدو لها عسيرا، هو ذا يغدو- في اعتقادها - نحو التجسيد. لم تسألها أمها عن هذا التأخر المسبوق وعن حيثيات الليلة القزحية، وهي التي استقبلتها بمدخل الباب.
كانت تعلم تفاصيل الدعوة مسبقا، حيث تزينت أمامها في غياب الأب الذي كان مدعوا للعشاء عند أحد الجيران , أخوها الأصغر منها سنا لا يدخل مبكرا إلىٰ البيت ، ولا يقحم نفسه في دائرة هذه الاهتمامات، منشغل دوما في مناصرته لفريقه المفضل "الريال"(الاسباني). توسطت أجنحة الغرفة ، تركض كالفراشة بعدما استيقظ فيها شعور بأن بحر الأسبوع القادم ستستلم منصبها لا محالة، وتشغل منصب أمينة سر ذاك الشاب الوسيم الذي دثرها بنظراته وهو يناولها تفاحة أثناء العشاء الفاخر.
كان يحاذيها بالطاولة التي تحمل رقم تشكيلته السياسية التي ينتمي إليها ويمثلها في البرلمان.
تضوعت لحظة سكون في خلدها أريجا ممزوجا بعطرها المفضل ليذيب الكون في انتشائها... تزحف اللحيظات نحو صباح مجهول،،، وهي تثاقل نحو نعاس لا يستشير كما مداهمة العسكر لمشبوه. يقتحمها سبات عميق.
تتوسط سويعات الصباح بجدائل ذات تسريحة مغايرة لتلك التي قضت بها السهرة. وهي أمام المرآة ببيت الحمام، تقضم ما تبقىٰ من تفاحة البارحة لتستكمل فألها، يصلها صدى المذياع بالمطبخ، أن نشرة الإخبار ستكون الفيصل في مستقبلها أو أن هاتفها سيرن ويتلقىٰ خبرا سرا، تنزلق السويعات، ليرتدي الهجير رداء ما تدحرج من ليلة أرقها ومن فتات الجلسة الملكية الفارطة ، الدقائق الجاثمة علىٰ صدرها تتدفق كشلال علىٰ جبينها المتصبب عرقا، وهي غارقة في صب الماء علىٰ الصابون في سجال مع جدائلها الناعمة، لتضرج بشك يطفو علىٰ بيت الحمام ويغتسل بصدى الأرجاء.
يصعقها إعلان المذيع بأن إحدى التشكيلات السياسية العتيدة هي التي محقت الجميع بما فيها تشكيلتهم السياسية.. ينزل الإعلان محرقة ليحترق حلمها في لحظة إغماء الأم بالمطبخ، وقد صعقها هي أيضا إعلان المذيع ليمتزج ببريق وجه الشاب الوسيم.
تسطع بين كفيها والتفاحة كما "راءات العارفات "غمامة كما الضباب وكما خطواتها وهي تغادر البيت إلىٰ الفندق.
كان هاتفها: اسمحي لنا آنسة "هالة". كان سيحصل ذلك لو أحرزنا علىٰ مقعد بالبرلمان، نأسف ،،،،، تدحرجت جدائلها بين بريق الليلة وبريق تسريحتها تحسبا لحفل النصر... ترتطم جدائلها المبللة بالماء والصابون بطنين أذنيها وهي مدرجة بجدائلها، في غور مشاعرها صدى يردّد " هو ذا منطق الزيف"..

جلباب أزرق

❑ أحمد الخميسي

جلس ساهما رأسه محني قبضتاه في حجره وساقاه مفرودتان علىٰ الحصيرة. تمتم "الله يرحمك ياسعد". ربتت عطيات الواقفة بجواره علىٰ كتفه . زفرت شاخصة إلي الفراغ ثم اتجهت إلي داخل الدار حيث الحجرة الوحيدة المسقوفة بعروق الخشب قائلة " وما تنساش الجلابية."
برزت الجلابية الزرقاء في مخيلته بالأزرار البيضاء عند الرقبة والخطوط الفضية . لم يهنأ بها جودة. ارتداها مرتين فقط . ثاني يوم شرائها، وطاف بها البلد قبل المغرب سعيدا بخجل . ومرة في العيد. ولما مرض سعد واستلزم الأمر سفره لمصر أعارهم جودة الجلابية زاعقا من خلال أسنانه الضخمة " هي الجلابية ح تطير يعني؟".
دمعت عيناه " الله يرحمك ياسعد " ما أن اشتد عوده حتىٰ شرع يعافر لأجل اللقمة، فلم يعد يراه إلا خطفا وهو يلقي السلام مهرولا ، وعاش في كوخ من الخوص علىٰ طرف أرض أبو اسماعيل ، يشتغل مقابل السكن ساعتين يوميا ، يستريح شوية ويسرح علىٰ رزقه في أي مكان . ولم تبق منه في الذاكرة سوى صور معدودة لأن حياته كانت دوارا في ساقية، والثور لو لف بالساقية مليون مرة تمسي كلها صورة واحدة. وخرج من الدنيا كما دخلها عريانا لا امرأة تبكيه ولا ولد ينعيه. الأعمار بيد الله ، صحيح بني آدم مثل الدخان لحظة ويختفي.
عادت عطيات بيدها كوب شاي وضعته أمامه وقالت "بكره من الفجر تطلع علىٰ مصر تخليهم يدفنوه في مقابر الصدقة ما فيش فلوس نجيبه البلد". قال خليفة بصوت هامد "قبر مين اللي ماحدش زاره؟ قبر الغريب البعيد عن داره". مصمصت شفتيها " إحنا معانا وقلنا لاء ياخليفة؟". عقدت يديها علىٰ بطنها بيأس وأكدت "وماتنساش الجلابية".
الجلابية ؟!
حين مرض سعد سقوه نعناعا مغليا . طحنوا له رأس ثوم مع ليمون . ولم يتحسن . ظل يئن علىٰ نور لامبة جاز وحده . حن عليهم أبواسماعيل بفرخة التهمها سعد في دقيقة ، وبعد شوية رجع يعض علىٰ شفتيه المشقوقتين . يضغط علىٰ بطنه ، يرفع ساقه ويدفعها في الهواء لأعلىٰ . في عيادة المركز قال الدكتور" خدوه علىٰ مصر بسرعة . تلزمه عملية في مستشفىٰ كبيرة ". دار خليفة في البلد ثاني يوم يلم فلوس المشوار من كل نفر شوية . وليلة السفر قالت له عطيات" أنت يا خليفة ح تنقل أخوك بجلابيته اللي عليه؟ انت عارف بتوع مصر، إن لقوه وسخ كده ممكن ما يدخلهوش عندهم". سكت خليفة. جودة كان قاعد. بص لخليفة وقال له "أنا عندي الجلابية الزرقاء ، خدوها". زام خليفة زومة طويلة ممطوطة لايفهم منها شيء. وأقسم جودة وحنجرته البارزة تهتز أن يأخذوها. شكره خليفة " معلش مايصحش يظهر بجلابية لامؤاخذة وسخة وكمان مقطعة". رد جودة بابتسامة كشفت أسنانه الضخمة " هي الجلابية ح تطير يعني؟ لما يرجع بالسلامة هاتوها". نهض. غاب قليلا وعاد بالجلباب ملفوفا في كيس. رفعه في الهواء وزر عينيه يتأمله كمن يوضح قيمته لمن حوله، ثم نفضه بظاهر كفه وانحني وناوله لخليفة.
ثاني يوم الصبح، كان خليفة يجرجر سعدا علىٰ السكة المحاذية للزراعة، يشجعه علىٰ السير هاتفا "أنت زي الفل ياسعد". حين بلغا موقف السيارات البيجو القديمة دفع سعدا إلي المقعد الخلفي ، واشتبك جيب الجلباب بمقبض الباب وكاد أن يتمزق لولا ستر ربنا.
تكوم سعد علىٰ المقعد الخلفي رأسه ملقىٰ للوراء مغمض العينين ولم ينطق أو يئن طول الطريق.
في قصر العيني فرشوا له حشية علىٰ بلاط الطرقة "لغاية ما يفضىٰ سرير". وقف خليفة مدة بجواره ثم اكتشف أنه لا يفعل شيئا فانحنىٰ زاعقا في أذنه "أنت زي الفل ياسعد" وانصرف ، وقبل أن ينقضي الأسبوع تلقىٰ خليفة خبر وفاة سعد. الآن يستعد خليفة للسفر لإنهاء إجراءات الدفن. هذه المرة رافقه جودة حتىٰ موقف السيارات وهو يكرر"ربنا". يكون في العون ، وما تهتمش بأي شيء". قال خليفة لنفسه إن جودة رجل غلبان عايش علىٰ صنع أقفاص من الجريد ولابد محتاج الجلابية.
في المستشفىٰ بصم خليفة علىٰ طلب دفن أخيه علىٰ حساب الحكومة ، وسمع صوت الموظف يقول وهو يعبيء الاستمارة "حيث أنه معدم". لق خليفة كلمة معدم في رأسه، وصعبت عليه فقال للموظف "ممكن لا مؤاخذة كلمة غير دي؟". وجاءه الرد بحزم "لاء". تمتم لنفسه "الله يرحمك ياسعد آخرتها تطلع معدم؟. وغادر الحجرة ليلقي نظرة أخيرة علىٰ سعد فوجده ممددا مغطي بملاءة خفيفة ويده مدلاة بجواره. أمسك بيده الباردة " معلش ياسعد كنت عاوز أخدك البلد لكن مش قادر". تلفت حوله يفتش عن الجلابية فلم يجدها . خرج يستفسر عن متعلقات المتوفي فأجابه موظف من وراء شباك سلك "أي متعلقات؟". قال "المرحوم كان جاي بجلابية. مش بتاعتنا لازم نردها". نظر الرجل في دفتر "ما عنديش شيء متسجل باسم سعد، لا جلاليب ولا فلوس ولا أي حاجة". ممرض كان واقفا يدخن قرب الشباك قال لخليفة "كنت سألت عنها قبل الغسل، يمكن اتقطعت ولا اترمت. شكلها إيه". برزت الجلابية أمامه "زرقاء، بخطوط فضي، وصف زراير عند الرقبة "همس له رجل عجوز ببيجامة واضح أنه من زمان في المستشفىٰ" إطلع للمدير في الدور التاني واشتكي".
أمام باب حجرة المدير المكسو بالجلد انتظر خليفة ساعة وحين سمحوا له بالدخول ارتبك أمام المدير من فكرة أن الجلابية حاجة صغيرة لا يصح أن يشغل بها مسئول في الحكومة ، فقال بخجل " سيادتك أخويا جه المستشفىٰ بجلابية ومات . مش بتاعتنا ولازم نردها". استغرب المدير " جلابية إيه ؟ الكلام ده في الأمانات مش هنا". وضح له " سيادتك أنا سألت قالوا مافيش ، ولامؤاخذة أنا عارف إنه جه بجلابية زرقاء". قلب المدير شفته "يعني عاوزني أسيب شغلي وأقعد أشوف مين ضاعت له جلابية ومين راح له لباس ؟ الناس دي إيه ؟!". أشار برأسه إلي الباب "تفضل". تراجع خليفة بظهره "لا مؤاخذة". خرج ووقف في الطرقة بجوار نافذة كبيرة يلتقط أنفاسه. "ربنا يعطي الحياة وأخدينها من جودة؟".
هبط علىٰ السلم حين بلغ الطابق الأول تناهت إلي سمعه صيحات تتدفق من الشارع. وعند بوابة الخروج الضخمة شاهد بحرا بشريا. ناس بيافطات يهتفون. آخرون علىٰ الأكتاف يلوحون بقبضاتهم. سيارات شرطة.بنات تصرخ . عيال تجري. شابة مرمية علىٰ الرصيف وسيدة علىٰ ركبتيها تنحني فوقها وترتد تلطم خديها . وفجأة اندفع من خلفه شاب يجري فأسقطه علىٰ الأرض . نهض مذهولا . تلفت حوله . استدار برقبته لاتجاه محطة القطارات . انطلق يهرول للأمام . في محطة القطارات اشتري سندويتش فول . التهمه في وقفته علىٰ رصيف قطار الصعيد . بدأ القطار يتحرك فركبه . استراح علىٰ أرض باب بين مقطورتين . راح يدقق النظر في الجلابيب التي تعبر أمامه ويقدر أثمانها . لا يقل الواحد عن ثلاثين أو أربعين جنيها خبط لزق . سمع صوت مفتش التذاكر فنهض بسرعة يختفي في المقطورات الأبعد ، واختبأ في دورات المياه ثلاث مرات ، ثم قرر أن يهبط ما أن يتوقف القطار في الفيوم ، ويواصل بالقطار التالي.
خرج من المحطة إلي الميدان الواسع حولها، وكانت في السماء بقية من حمرة الشمس، وهبات هواء باردة تتدفق إلي الجو. وخطفت بصره كلوبات مضاءة في مدخل سرادق ضخم . وسمع صياح ينبعث عبر مكبرات الصوت. مال علىٰ عجوز يقف أمام نصبة شاي "فيه إيه؟". أجابه وهو يشطف كوبا في طست ماء" انتخابات وناس بتتكلم . ح تشرب شاي؟". هز رأسه بالنفي وبصره مرسل إلي داخل خيمة السرادق حيث وقف رجل أنيق بيده ميكروفون يصله صوته متحدثا عن "حقوق الإنسان" و" المجتمع الذكوري الأبوي"، ولم يفهم خليفة من العبارة سوى كلمة المجتمع، ولم يدرك علاقة " الأبوي " بالموضوع، ثم نطق الرجل بكلمة غريبة هي إما لبرانية أو لبرارية. وعطلت الكلمة لأنها صعبة علىٰ الفهم وفي النطق متابعة خليفة للكلام، فبرزت أمامه الجلابية الزرقاء. وقال لنفسه "لو كان سعد في وعيه ماكانتش الجلابية راحت". هبط الرجل من عند المنصة وبعث التعب واليأس في نفس خليفة جرأة ، فجري خلفه يقول له "ياريس. موضوع صغير. فيه جلابية في قصر العيني مش عارفين راحت فين . مش بتاعتنا لازم نردها". لكن الرجل انهمك في الحديث مع آخرين خلال سيره إلي خارج السرادق. وصعد مرشح آخر، بسمل وحوقل وأكد بنبرة آسية أن سبب كل المصائب ضعف الأخلاق ، المدرس ضعيف الإيمان همه الربح فانهار التعليم، ورشوة الموظف مهتز العقيدة هدمت الاقتصاد، ولو أصلح كل فرد حاله مارفع التجار أسعار السلع ، ولا سمحت العائلات لبناتها بخلاعة ارتداء المايوهات. ورفع الرجل ذراعيه لأعلىٰ كالمبتهل يكرر " المايوهات " ضاغطا علىٰ الكلمة وهو يلفظها من بين أسنانه بألم. وتوقف خليفة عند "ارتداء" ووثب الجلباب الأزرق إلي رأسه مفرودا وواضحا . وتساءل كم كلفت جودة قماشا وتفصيلا ؟ . وما أن ختم الرجل حديثه حتىٰ هرول خليفة وراءه " ياريس . فيه جلابية مش عارفين راحت فين . مش بتاعتنا " . أخرج الرجل بطاقة أعطاه إياها " تعال لنا المقر وستخرج راضيا بإذن الله " . وتكلم شخص علىٰ ملامحه هيبة العلم عن الدستور والبرلمان وانتخابات نزيهة ودولة مدنية ، وجرى خليفة حتىٰ أصبح في مواجهته " ياريس . الجلابية . ياريس " وشرح الموضوع وهو يلهث . فوضع الآخر نظارته في جيب الجاكتة الداخلي وقال له " أهم حاجة دلوقت الجانب التشريعي " . وكان تعب اليوم الطويل كله قد حط في ساقيي خليفة وقدميه فلزم الصمت وهو يثني أصابع قدميه لتحت وفوق داخل الصندل البلاستيك .
حل موعد القطار فاتجه خليفة إلي المحطة وركب. ساعدته العتمة علىٰ الزوغان من المفتش. ووقف وحيدا مرهقا غاضبا وقال لنفسه " يعني جودة ح يعمل فيك إيه ؟ ملعون أبوه علىٰ أبو جلابيته".
حين هبط إلي المنيا كانت الدنيا قد ليلت ، ودخل إلي البلدة بين نباح الكلاب علىٰ السكة الضيقة. مشي حتىٰ لاحت في العتمة الساقية المهجورة وخلفها البيوت المنخفضة المتلاصقة وأكوام السباخ الراقدة أمام أبوابها. تذكر ذراع أخيه المدلاة في الهواء. توقف مكانه تحت السماء التي تلمع نجومها في الظلمة الشاسعة. رفع عينيه للسماء . خفض بصره. تطلع ثانية لأعلىٰ ونفخ في الهواء بالم "يارب. أنت من يعطي الحياة وأنت من يأخذها. ماقلناش حاجة . لكن الجلابية مش بتاعتنا ولازم نردها . يارب".

نخبَ صليبي

❑ أنوار سرحان

ثمّ بغتةً ، وبعد أن تقنطَ من كلّ الذين تفرّجوا بانتشاء علىٰ دمك المسفوح علىٰ عتباتهم، سيفاجئك مَن حدستَ فيه يوما خيراً ما من بعيدٍ وكاد يضيع في دروب القنوط.
لا تقُل لي فيما تزدادُ عيناك جحوظاً وشفتاك تلوّياً إنّ الحلال بيّنٌ والحرامُ بيّن.. قل فقط إنّ ثمة تساقطاً نفرا نفرا وثمة سقوطاً كبيراً يدوّي، ولا تبتئسْ إن بدتِ جرداءَ روحُك، لعلّ عريَها منهم جميعاً يكونُ الحلالَ الوحيدَ بيّناً أو غيرَ بيّن!
لملم استهجانَك، فكل شيء مدهشٌ كما أبلغتك: النيران المتوقدة ما زالت تخلصُ لحرقنا باستماتة، الجراحُ تتشبّث بالنزف والتمزّق .. القلبُ المهشّم يتفنّن في مضغ فتاته.. والدم لم يخن حُمرتَه، إنّه يصبغ بها العالم.. وأنت أين أنت؟ تبّاً للروح التي تخلصُ للجرح وتخونُ صاحبَه.. ماذا أحكي والسماء بدت منحدرةً، فارتفعَت مكانها الصرخات..الملائكة اختفوا خجلين.. النضال تغيّرت معانيه وبات أهمّها إجادةَ التسلّق ولو لجدران الفيسبوك..
وأنا بتُّ أضحك كثيراً كي أستر صوتَ الدم الذي يشخِب في روحي..
أفهم طبعاً أنّ النقائض قد تجتمع بل وقد تتوحّد، كأن نحبَّ حدّ القسوة أو نلثمَ حدّ النهش.. كأن نضوّع حتىٰ نضيع أو نذوبَ حدّ التبلّد.. فلا تسألني مستهجناً كيف النقيضُ بالنقيض يلتقي او في النقيض يعيش؟ هل رأيتَك يوماً في مرآتي مصلوباً؟.. يدك في فم والدٍ مفغور تصرخُ النهش، كتفك بين أسنان أخٍ حادّة، رجلاك تشدّهما أيدي أخواتٍ مجتمعات بالحبال، ظهرك غُرزَت فيه أنيابُ الأصدقاء المقيمين احتفالاتهم فوقه، بطنك انسحبَت أحشاؤه بين أظافر صديقاتٍ مخلبيّة، لسانك المشدودُ سالَت دماؤه مَن عضّات الأبناء، دماؤك التي سُفكت للمها زوجٌ للاستفادة منها في مشاريعه.
وبلهجة واعظ مقزّز يهمس لك أحدِ المحسوبين عليك حين الخيباتُ شاحذةً أسنانَها كما قندسٌ تقضم أشجارَ الروح، حين الروحُ تتناثر شظايا وغرقىٰ، حين الشظايا تضيعُ كسوراً وفتاتاً، وحدهم الحقيقيون قادرون إذاك علىٰ لملمتها.. " فلا تبتئس إن ضاعت الشظايا، لعلّ العيبَ في زمنٍ خلا منهم". لن تملك أكثرَ من صرخة مصعّوق تقذفها في وجهه: "أرح أسنانك وأضع جيداً، هذا الذي يطرطق في لعابك أليس دمي"؟
لا تنتظر جواباً وسط ضجيج وقاحتهم. يتبجّح أحدهم فيما استجديته أن يطل إليك/ يناديك: وأنتَ ذاهبٌ إلىٰ الموت لا تنسَ أن تترك لي بعضاً من دمك أتجرّعه قبل أن يفسد، وقليلاً من لحمك تبرّع لي به أتشدّق في علكه فوق جثّتك وأبكي قليلاً ريثما يأتيني رفاقٌ بعلبة دخانٍ جديدٍ وكأس عرقٍ وموسيقىٰ حزينة وآياتٍ أحتملُ فيها شيخاً حماراً وأجامل المعزّين بقبلاتٍ تفوح منها روائح البصل. أو –قبل أن تموت اترك ما يكفي من ثمن العطور لي ولكلّ أولئك الذين ساخونك معهم بنكت سمجة تنسينا الدموعَ التي نذرف فوق جثّتك. تريّث قليلاً ولا تستعجل الموت قبل أن تلبّي طلباتي الأخيرة يا حبيبي.. ثم يسترسل في ذبحك: لمَ تحدّق بي؟ ألا تصدّق أني أحبّك؟! صدّق حبيبي هي فقط المفاهيم تتبدّل! تتبدّل؟ نعم كل شيء يتبدل.. حتىٰ قناعاتنا.. دعك من الإيمان فما عنه نتحدث.. ثمة قناعة هي الأصدق.. ستنادي من عمق النزف:
"هوووووو